الدمار الذيذ

عـلى كرسي المقهى جلـس بجوارها يحتسي القهـوة. ويتأمل ملامحها الرقيقة بسعادة

كـم تفيض منها رائحة الطيبة والهدوء، رسـومها الناعمة تحمله على ضفاف الغيوم، في تأمُّل واحد طار معها للسماء.

هز رأسه في عنف وكأنما أراد أن يستعيد وعيه، واختطف نظرة ثانية لوجهها المبتسم له في صمت، وقال لها في ثباتٍ: ألن تبتسمين؟

نظرت إليه بنظرة ساحرة يعرفها جيدًا وردت: بدون أسباب؟

قال لها بسرعة واستنكار:

بدون أسباب. يا دمار

قالت في دهشة:

أنا دمار؟

ابتسم لها بعينيه وقال بيقين:

نعم أنتِ من المدمرين، علامَ تتعجبين؟

استمر حاجباها مرتفعين، وعيناها في ذهول، وفمها عفى إلا أن يردد كلمة واحدة خرجت بانفعال وتصميم، أنا؟

قال لها: نعم أنت كالزلزال أو البركان، أتعلمين؟ أراكِ أقرب للإعصار بما تحدثيه من دمار.

كان سيسكت، غير أن ذهولها المستمر وصمتها أجبراه على الاستمرار قائلًا:

أجل، إذا مررتِ بقلبٍ يومًا فأنتِ تتركينه بعدك خرابًا. لا يريد الحب ولا يصلح له مجددًا، أنتِ وفقط. ولا حب بعدك، أليست هذه من أفعال الدمار كما الإعصار؟

يقتلع البيوت والأشجار، ولا تعود الأرض بعد مروره كما كانت قبله؟

حبيبتي، كوني على يقين، أنتِ من المدمرين لهذا الكوكب ولابد للمنتصرين في معركة إنقاذ الأرض أن يدركوا خطركِ على مساعيهم.

ثم صمت لثانيتين وردد هادئًا وفي عينيه نظرة حنان:

أو أن يرضخوا مثلي للدمار في هدوء واستسلام.